مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 99 - 113

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

واقع الطب في شمال إفريقيا في الفترة الرومانية
ـمقاربة وصفية إحصائية لأشهر الأطباء وإسهاماتهم

The reality of Medicine in North Africa in the Roman period- a statistical descriptive approach to the most famous Physicians and their contribution-

عيوج زاهية

جامعة بجاية (الجزائر)، zahia.ayoudj@univ-bejaia.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/10 تاريخ القبول: 2022/10/06 تاريخ النشر: 2022/10/10

ملخص:

يأتي هذا العمل الذي يتناول واقع الطب في شمال إفريقيا في الفترة الرومانية –مقاربة وصفية إحصائية لأشهر الأطباء وإسهاماتهم كمحاولة منا لإبراز مكانة الطب والأطباء باعتبارها من المهن الرفيعة التي مارسها الأفارقة، ومدى مساهمتهم في الطب الروماني معتمدين في ذلك على منهجين المنهج التاريخي التحليلي والمنهج التاريخي الوصفي، وعلى العديد من المصادر المادية والأدبية، وقد استنتجنا في الأخير أن الطب كان وثيق الصلة بالسحر والدين، وأن ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في شمال إفريقيا خلال هذه الفترة لم يقتصر على الحياة الأدبية بل بشكل خاص في العلوم والطب بالنظر إلى وجود "المدرسة الإفريقية" للطب بقرطاجة التي ازدهرت في منتصف القرن الثالث الميلادي. تعدد أقسام الطب والعدد الهام من الأطباء الأفارقة الذين اشتهروا في العالم الروماني ودورهم الريادي في الأدب الطبي اللاتيني وخاصة في الحفاظ على المعرفة الطبية اليونانية ونقلها إلى إيطاليا واسبانيا من خلال تزعمهم أساسا لحركة الجمع، التعديل، التلخيص، ترجمة والنقل النصوص المؤلفات الطبية اليونانية إلى اللغة اللاتينية.

كلمات مفتاحية: الأطباء الأفارقة، السحر، شمال إفريقيا، الأدب الطبي اللاتيني، أسكولاب

Abstract :

This work on the reality of medicine in North Africa in the Roman period - a statistical descriptive approach to the most famous Physicians and their contributions - as an attempt by us to highlight the position of medicine and physicians as a high-level profession of Africans and their most important contribution to Romanian medicine. Relying on both analytical and descriptive historical approaches, and on many material and literary sources. Finally, we concluded that medicine was closely related to religion and magic. That the prosperity of cultural and intellectual life in the North Africa in the period Roman was not limited to literary life, but particularly in science and medicine. Given the existence of the country the "African School of Medicine" of Carthage, which flourished in the middle of the 3rd century. Lists the departments of medicine, the significant number of African physician who were famous in the Roman world. Their leading role in Latin medical literature especially in preservation and transfer of Greek medical knowledge to Italy by leading mainly the collection, summation, modification, translation and transcription of Greek medical literature into Latin.

Key words Africans Physicians, Magic, North Africa, Latin medical literature, Escolab.

مقدمة:

تعد مهنة الطب من أشرف المهن التي مارسها الانسان لما كان لها من دور لإيجاد العلاج للأمراض التي تهدد حياته اليومية. وكان سكان شمال إفريقيا كسائر الشعوب القديمة عرفوا هذه المهنة منذ عصور ما قبل التاريخ هذا ما توضحه لنا الشواهد الأثرية المختلفة حيث كانوا يلجؤون إلى الأطباء السحرة ويقدمون الأضاحي والقرابين لشفاء مرضاهم، ويتضرعون لآلهة لحمايتهم من الأرواح الشريرة .كما اعتقدوا في الخواص المياه العلاجية.

غير أن مجال الطب عرف تطورا ملحوظا في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية حيث تأثر بدوره بانتعاش الحياة الأدبية والعلمية، وقد ذاع صيت العديد من الأطباء الأفارقة خاصة خلال القرن الرابع والخامس الميلادي .وهذا ما أثار السؤال حول واقع الطب في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية وأشهر الأسماء الأطباء؟ وأهم إسهاماتهم؟

أن الدراسات حول موضوع الطب والأطباء نادرة خاصة وأن معظم مصنفات الطبية للأفارقة مفقودة ضاع الجزء الأكبر منها، ومن ناحية آخر المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا قليلة وغالبا ما يتم تناوله ضمن السياق العام للأبحاث للطب الروماني القديم.لذا فالموضوع بحاجة ماسة إلى البحث، وضرورة تفريد دراسة خاصة في هذا الموضوع.

يهدف هذا المقال إلى محاولة تسليط الضوء على واقع الطب، أهم أقسامه واطلاع شبابنا على تاريخ الطب الأفريقي وتعريفهم بأبرز أعلام هذا المجال وأهم إسهاماتهم.

1. الطب والسحر والدين:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن الطب في شمال إفريقيا شأنه في ذلك جل المجتمعات القديمة ارتبط في بداياته بالسحر والدين، حيث ساد اعتقاد بين السكان المحليين أن المرض سببه قوى غامضة لا يمكن السيطرة عليها، لذلك عمدوا إلى مزاولة ممارسات ذات أصل سحري، يحملون التعاويذ والتمائم والأدوات المختلفة (Hamman, 1979, p. 183)، يمارسون النشرة" لإبعاد المرض وطلب الحماية والرضى من الآلهة (الطاهر، 1969، ص. 173)

كما ساد الاعتقاد بقوة المياه الاستشفائية حيث اقترن العلاج بالمقدس الموجود في مياه الآبار والمنابع التي استقطبت العديد من روادها بغية التداوي من الأمراض المختلفة، وما تلك الحمامات

المعدنية التي لا يزال أغلبها يعمل إلى يومنا هذا، إلا معاهد للعلاج والاستشفاء نذكر منها حمام المسخوطين (Aquae Thibitanae) وحمام الصالحين (Aquae Flaviana)، ويشير أيضا المفكر والأديب أبوليوس (Lucius APULEIUS) خلال القرن الثاني الميلادي إلى حمام المعروف في العهد الروماني بـ(Aquae Persiana) في قرطاجة (Carthage) والذي قدم هو بنفسه إليه لمعالجة تشنج عضلي (Apulée, 1960, p. XVI).

كذلك ارتبطت العديد من الآلهة بخاصة المياه الصحية، نجد في مقدماتها الإله ماكورغوم (Macurgum)، الإله ليليو (Lilleo) وتيليلوا (Thililua)، لكن احتل إله أسكولاب (Esculape) الصدارة في مجمع آلهة الطب والشفاء في العهد الروماني. يعد من الآلهة التي انتشرت عبادته في العديد من مدن شمال إفريقيا منها وليلي (Volubilis)، قرطاجة (Carthage)، تيمقاد (Thamugadi) هيبون (Hippone) (Benseddik, 1991, p. 145)، وهو الإله الشافي لكل الأمراض لدرجة أنه استطاع أن يربط بين الطب والدين، وغالبا ما يمثل كرجل ملتحيا في منتصف العمر ذو شعر كثيف يرتكز على عصا بها ثعبان وعصا أسكولاب (Esculape) كانت وإلى يومنا هذا شعارا للطب ورمزا عالميا للصحة (غانم، 2005، ص.114)

وقد شيدت له عدد هام من المعابد الضخمة، أهمها معبد لمباز (Lambèse)، لإله أسكولاب الذي شيد في القرن الأول وتم توسيعه خلال القرن الثالث الميلادي من طرف الفرقة الأوغسطية الرومانية الثالثة (Janon, 1985, p. 35)، وكان دليل أثري على وجود مؤسسة طبية دينية في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية حيث كان الكهنة أو كما يطلق عليهم الأطباء السحرة أو الكهنة الطبيين مسؤولون على الممارسات التي كانت تورث من الأب إلى الابن، وتستند خصوصا إلى الوصفات السحرية لا على الوصفات الطبية، كإشراف على طقوس التطهير والاستحمام، تقديم الأضاحي والقرابين وتؤول أحلام المرضى ومثلوا دور الوسيط بين الآلهة والمريض (Doutté, 1909, p. 36)

ومن أبرز الأمثلة أيضا التي تجسد علاقة بين الطب والدين، فسيفساء المشهورة باسم لمبريدي (Lambiridi) التي تعود إلى القرن الثاني الميلادي، عثر عليها في كوريكول (Cuicul) حيث نقف من خلالها على شكل الفحص الطبي، يظهر الطبيب الكاهن في هيئة إله الطب والشفاء

أسكولاب ذو بنية قوية جالسا فوق كرسي يفحص مريضا له على شكل هيكل يجلس أمامه يجس نبض(Corcopino, 1922, p.211)

وباستطاعتنا كذلك أن نذكر ما جاء عند أبوليوس (Apulée)حيث كانت روايته "التحولات" (Les Métamorphoses) المشهورة بالحمار الذهبي، مليئة بذكر السحر، كما أنه تزوج أرملة ثرية تدعى إيميليا بيدونتيلا (Emilia PUDENTILLA) اتهم على إثرها بتهمة تعاطي السحر، وتمكن أبوليوس من الدفاع عن نفسه في محكمة أويا (Oae) (بطرابلس الحالية) وألف كتابه المرافعة (Apologie)، ولكن وصول هذه القضية أصلا إلى المحكمة يكشف عن سيطرة هذه اعتقادات على هذا العصر.

ومن جهة آخر، كان أبوليوس (Apulée) كاهن لإله أسكولاب، يناشده في خطابته التي ألقاها في كل من قرطاجة (Carthage) وأويا (Oea) ليحط سكانها برعايته وحمايته (Apulée, 1960, p. XVIII) ومن ثم يخبرنا أن زوجته إيميليا بيدونتيلا (Emilia PUDENTILLA) لجأت إلى الطب العلمي واستشارة الأطباء والقابلات في المرض والنوبات الهستيرية التي تصاب بها (Apulée, 1960, p. LXIX)، وكلها أدلة تثبيت أنه لا توجد حدود واضحة بين الطب والسحر والدين.

وبظهور المسيحية، سينقل آباء الكنيسة فضائل إله الطب القديم إلى المسيح. فيعتبر القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) أن الطبيب الإلهي بامتياز هو المسيح، فأخذ الأساقفة ورؤساء الأديرة يعالجون المرضى باستعمال التعاويذ والسحر (كلاس، 1995، ص.236)

2. تنظيم الطب:

أن التطور في مجال الطب لا يمكنه الوقوع خارج الأحداث السياسية والاجتماعية لعصره، وتبعا لنشاط حركة توافد الأجنبي من مختلف الفئات الذي صحب التوسع الروماني. أظهرت المصادر الأدبية أن مهنة التطبيب كانت كذلك حرفة حرة ممارسة من قبل العبيد والمعتقين الملحقين بالقصر الإمبراطوري أو بالعديد من الأسر الكبيرة. (Pline, 1848-1850, p. XXV)

كما أكدت نتائج الأبحاث الأثرية ذلك على الأخص منهم اليونانيين ومن الشرق يتعلق الأمر بالسوريين، وأشارت إلى انتقال المعرفة الطبية إلى شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية حيث تعلم السكان المحليون عن الأطباء الشرقيون واحتلوا مكانة مرموقة في الطب على أيديهم، إذ أمكن تمييز

ثلاثة أطباء من بين قائمة تضم ثلاثة عشر طبيبا شرقيا وكذلك نافس بعض الأطباء الأفارقة أساتذتهم الشرقين في مناطق أخرى من الإمبراطورية من أهمهم طبيب C.Iulius Filetio, domo Africa في مدينة أكوينكوم (Aquincum) الرومانية (Bel Faida, 2004, p. 739)

ولعل أبلغ برهان على هذا الحضور يعود إلى استقدام الملك يوبا الثاني (Juba) إلى بلاط قصره في قيصرية (شرشال) العديد من الإغريق، من بينهم الطبيب اليوناني أوفوربوس (Euphorbes) أخو الطبيب الشهير المعتق أنطونيوس موسى (Antonius MUSA)، الطبيب الإمبراطور الروماني أغسطس(Auguste)، وقد اكتسبا هذان الإغريقيان شهرة بإدخالهما عادة صب الماء البارد على الجسم بعد الاستحمام بالماء الساخن. كما نسب الملك يوبا الثاني (Juba) النبتة الطبية التي اكتشفها إلى اسم طبيب قصره المعروفة بـ Euphorbia المشهورة بفوائد طبية مهمة (Pline, 1848-1850, p. XXIX)

لكن لعل أهم ما يجدر الإشارة إليه وتأكده الدلائل التاريخية والأثرية أن مهنة الطب عرفت مجالا لها في العهد القرطاجي حيث كان أغلب الأطباء من علية القوم وذوي مكانة مرموقة (Dridi, 2006, p. 242)، كما عثر في عام 1853 في ضواحي مدينة باتنة في الجزائر على عصابة جبين من الفضة يرجح أنها كانت توضع من طرف الأطباء القرطاجيين، يظهر فيها " الإله أشمون " الإله البونيقي (Eshmoun) للطب والشفاء على شكل عصا يلتف حولها ثعبان رمز الطب . وهي الآن محفوظة في المتحف الوطني بقسنطينة (Berger, 1879, p.133) وهذا برهان على أهمية ممارسة الطب في هذه الفترة واحتلهم الريادة في حوض البحر المتوسط وعلى امتلكهم ارثا طبيا قبل الفترة الرومانية.

ومن الملاحظ كذلك، أنه كان الطب من العلوم النادرة التي حظيت باهتمام وبتعليم منتظم، رغم أن فئة قليلة استفادت منه .(Marrou, 1938, p. 141) تفيدنا المصادر أنه كان لدينا التعليم الرسمي للطب في بعض المدن الإفريقية (Augustin, 1864, p. CXXV) ومن بين أهم مراكزه نجد مكثر (Mactaris)، هيبون (Hippone) وقرطاجة (Carthge) وما تلك الإشارات إلى العديد من أسماء الأطباء من فئة الأطباء العموميون البلديون (Archiatres Municipaux) إلا دليلا على ذلك، ونحن نعلم أن هؤلاء كانوا يؤدون دورين رئيسيين: تقديم الرعاية الصحية للفقراء وكانوا مسؤولين كذلك

تلقي وتدريب الطلاب وفقا ما جاء في مرسوم الإمبراطور قسطنطين (Constantin) عام 368 م (Briau, 1877, p. 53).

وبالعودة إلى مسار تدريس الطب، التكوين النظري في الطب يدوم خمس سنوات، التدريج المسبق في التعليم الابتدائي، الثانوي والعالي قبل التدريب العملي حيث يرافق فيه الشاب المتمدرس أساتذتهم خلال فحص المرضى وحتى أنه أصبح ينوبه أثناء غيابه، ويفوضه لممارسة الطب في فترات الوباء والطاعون (Benseddik, 1988-1989, p. 688)

في ذات السياق نشير إلى أن الأطباء الأفارقة كانوا يلتحقون بالمراكز الحضارية الكبرى في العالم القديم الإسكندرية (Alexandrie) أو روما (Rome) لإتمام دراستهم، نذكر من هؤلاء أبوليوس الذي سافر إلى أثينا (Athènes) وروما وأراد الالتحاق بمدينة الإسكندرية لكنه نزل بمدينة أويا (Oae) لينهال من ينابع المعرفة التي كثيرا ما فاخر بها وتباهى (Apulée, 1960, p. XX) ويدل كذلك مرسوم الإمبراطور الروماني فالنتينيان(Valentinien) المؤرخ بعام 370م الخاص بطلبة الأفارقة على توافد الطلاب العلوم الأفارقة على جامعات روما لأنها كانت تحتض أساتذة أكفاء بما في ذلك أطباء أجانب من بلاد اليونان ومصر. (Tlili, 2000, p.1173) وفي وقت لاحق يحدثنا القديس أوغسطين عن مريض يدعى دينوشنسيوص(Innocent) استدعى جراحا شهيرا من الإسكندرية (لم يذكر اسمه)لتقديم العلاج ما استعصى من الأمراض (الأوغسطينوس، 2007، ص. 341) .

ولعل أهم ما يمكن الإشارة إليه، أن أغلب شهادات المؤرخين القدامى أمثال الكاتب سلافين (Salvien de Marcelle) يعتقدون بانتعاش الحياة الفكرية الأدبية خاصة تعليم الفلسفة (Salvien, 1975, p. 7) واستثنوا في هذا التطور الحياة العلمية، لكن عكس هذا برز في العصر الحديث دراسات تاريخية ثمنت جهود الأفارقة خلال القرن الرابع والخامس الميلادي في مجال الطب العلمي تزعمها ثلة من الباحثين على رأسهم الباحث غي صباح (Guy SABBAH)(1998) الذي أقر بوجود "مدرسة أفريقية" للطب في قرطاجة التي ازدهرت في منتصف القرن الثالث الميلادي. (p. 49) ونتيجة لهذا في قوله: " مجمل النصوص الطبية المنتجة في القرن الرابع إلى غاية الغزو الوندالي باستثناء مساهمة الطبيب والكاتب اللاتيني مارسيلو إمبيريكوس (Marcellus de Bordeaux) في كتابه "الأدوية" (Medicamentis) وحصريا بفضل جهود الأطباء الأفارقة ساهموا في الحفاظ على المعرفة الطبية اليونانية ونقلها إلى اسبانيا وإيطاليا خلال العصور الوسطى." (p. 150)

كما يذكر لنا نوتون فيفيان (Nutton VIVIAN)(1984) الأطباء الأفارقة بقوله "الملخصون، الموسوعيون " ويصفهم بـ "ثلاجات الطبية في العصور القديمة" فلم يكونوا مجرد نساخين أو ناقلين ومترجمين، وانما صنفوا، وأضافوا مواد جديدة ولخصوا المواد القديمة. (p. 2) وفي موضع آخر (2013) يصف الرخاء الفكري الذي شهدته شمال إفريقيا خلال القرنين الرابع والخامس بـ "النهضة" في الطب العلمي اللاتيني بالتوازي مع ظهور الأدب اللاتيني المسيحي، من خلال بروز تيار علمي مثله أساسا الأطباء الأفارقة يستند خاصة إلى جمع، تعديل، تلخيص وترجمة الأعمال الطبية لعظماء الطب اليوناني إلى اللغة اللاتينية (p. 306)

ولعبت شمال إفريقيا قرطاجة خاصة دورا الوسيط وعامل للنقل الثقافة من خلال تأثير على ثقافة ايزيدور الإشبيلي (Isidore de SEVILLE) والتي نشرها فيما بعد إلى جل الكنائس والأديرة الموجودة في وسط فرنسا وإيطاليا. وفي القرن السادس الميلادي كان من أهم المخطوطات التي جمعت وحفظت في مكتبة كاسيدور(Cassiodore) في دير فيفاريوم (Vivarium) الكتب الطبية التي كان مصدر أغلبها من شمال إفريقيا (Sabbah, 1998, p.149) واستفاد العرب منها (Riché, 1962, p. 289).

ومع ذلك، كان الطبيب في هذه الفترة يجمع بين المهن المختلفة فكان فنانا، نحويا، وخاصة فيلسوفا لأن الفيلسوف نموذجا يحتذى به (André, 1987, p. 46)، كما يمكن أن يصبح أسقفا، قديسا، حاكما، لذا توجب علينا انتظار إلى غاية القرن التاسع عشر لتتضح مكانة الطب ويستقل من النقاش الدائر بين مؤرخين إن كان الطب علم أو فن. (سورنيا، 1978، ص. 96)

3. أقسام الطب :

يجب أن نلفت الانتباه إلى نقطة جديرة بالاهتمام، إلا وهي استخدام ألقاب لاتينية للأطباء في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية حيث تبين من النقوش التي عثر عليها في مقاطعات طرابلس(Tripolitaine) والمزاق (Bizacène) (CIL, VII,15 , 22684)، والنقائش البروقنصلية (Proconsulaire)خاصة نقوش هيبون (Hippone)(CIL, VII, 11347, 25653) أن أطباء كانوا يحملون اسم (Medicus) باللغة اللاتينية والتي كانت تطلق على الطبيب أو على كل شخصا يمارس

فن العلاج، والمشتقة من اسم الطب باللغة اللاتينية (Medicina Ars) وكان معظم هؤلاء أطباء عامون، كما يصطلح عليهم في العصر الحديث.

أما بالنسبة للنساء وكما هو واضح في مجموعة من النقوش التي تبين مزاولة المرأة لمهنة الطب وحملت الطبيبات منهن لقب (Medicae) وهو مؤنث طبيب والتي من شانها تقديم الرعاية الصحية للرجال والنساء والأطفال (Benseddik, 2009, p.108). نضرب المثال هنا بنقيشة قرطاجة التي تتحدث عن الطبية أسيليا بوليا (Asyllia POLLIA) وهي الطبيبة الوحيدة التي تذكرها النقوش (CIL, VII, 25394) في حين ارتبط مؤنث طبيب عند أبوليوس (Apulée) (1965) في الكتاب الخامس من رواية "التحولات" بالممرضة أو المعالجة حين تحدث عن الزوجة (Psyché) التي تعالج زوجها المريض (p. 10)، وبهذا يمكن القول إن الطب خلال هذه الفترة كان طبا لاتينيا بلمسة إفريقية.

وعلى العموم هناك ثلاثة أصناف من الأطباء الذين مارسوا مهنتهم في روما ولا شك أنهم لعبوا نفس الدور في شمال إفريقيا (Briau, 1877, p. 130)

1.3. الأطباء العموميون Archiatrus أو Archiatri:

1.1.3. الأطباء القصر الإمبراطوري (Archiatri Sacri Palatii):

هم طبقة الأطباء الخاصين ببلاط الإمبراطور الذين كانت لهم أجور رفيعة، تمنح لهم العلاوات، ويتمتعون بالحصانة. أشهر ممثلين هذا النوع طبيب قرطاجة فنديسيانوس (VINDICIANUS)الذي احتل الريادة ضمن أطباء منتصف القرن الرابع الميلادي خاصة بعد تعينه على رأس المجلس الذي أسسه الإمبراطور الروماني فالنتينيان (Valentinien) الأول ضمن انتخاب أربعة عشر طبيبا عموميا (Archiatre) وأشير إليه باسم الكونت (Comes) بمعنى رئيس مجلس أطباء. وبفضل كفاءته وشهرته، تم تعينه بر وقنصلا لأفريقيا (Proconsul Provincia Africa) في نفس الفترة (André, 1987, p. 86).

2.1.3. أطباء العموميين البلديون (Archiatres Municipaux) :

عرف هذا النوع تنظيما محكما من قبل الإمبراطورية الرومانية، كان لكل مدينة من مقاطعات الإمبراطورية أطباؤها، يمارسون مهامهم ضمن الطبقة العامة، معينون من طرف البلديات المدن وتدفع لهم رواتب. وتمتعوا كذلك بالحصانة وفقا للمرسوم الإمبراطور أنطونيوس

بيوس (Antonin le Pieux) وتم توسيعه في عهد الإمبراطور ديقليانوس (Dioclétien). (Lepelley, 1979, p. 287)

ظهر هذا اللقب لأول مرة في شمال إفريقيا في نقيشة النصب الجنائزي والفسيفساء الطبيب كوتينوس (Cottinus) في مدينة مكثر (Mactaris) (Duval, 1978, p.885)، لكن الجدير بالذكر هي الإشارات الكثيرة الواردة في نصوص المصادر الأدبية التي تشير إلى العديد من أسماء أطباء (Archiatrus) الذين عاصروا فترة القديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) واشتهروا بكفاءتهم وحب الجماهير لهم، من بينهم نذكر هلاريوس (Hilaruis) في هيبون، جيناديوس (Gennadius) في قرطاجة (Augustin, 1864, p. XXIV, CLXX) . كما يشير الباحث لوبولي (Lepelley) (1981) إلى النقيشة الجنائزية للطبيب فابويس Quintus (Q.Fabuis) التي تعود إلى الفترة البيزنطية، يذكر أنه مؤشر على استمرار نظام الأطباء البلديات في مقاطعات الإمبراطورية وإلى غاية تلك الفترة. (p. 249)

2.3. فئة الأطباء الخواص أو الخصوصيون (Medicine Libéraux):

تبرز مجموعة من الأدوات الطبية الجراحية التي عثر عليها في منزل باخوس (Bocchus) بموقع كويكول (Cuicul) التي أنشأها الإمبراطور نيرفا (Nerva) خلال القرن الأول الميلادي ومخصصة لقدماء المحاربين، وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن هذا المنزل احتوى على عيادة طبية صغيرة. وهي الان محفوظة في متحف جميلة (Djemila) ومجموعة آخر نجهل مصدرها محفوظة في متحف الوطني للآثار القديمة (بنور، 2010-2011، ص. 6) وعلى الرغم من قلتها إلا أنها تعتبر برهانا ومخلفا أثريا ذو أهمية، كما تدخل ضمن المورث المادي للمجتمع الجزائري الذي لا بد من المحافظة عليه.

3.3. فئة الأطباء العسكريون(Medicine Militaire) :

يقدمون هؤلاء الأطباء الرعاية الصحية للجنود من تضميد للجروح واجراء عمليات جراحية فورية، فينصح الأطباء العسكريون التقيد بالنظام التغذية الكافية، وممارسة الرياضة وكذا ارتياد الحمامات (Le Bohec, 2014, p. 182)

وبالعودة إلى شمال إفريقيا، لقد كان للأطباء العسكريون حضورا قويا في مدينة لمباز (Lambèse) التي كانت عاصمة نوميديا (Numidia) العسكرية خلال القرن الثاني الميلادي ومركز

الفرقة الأوغسطية الرومانية الثالثة، تحفظ لنا النقوش الأثرية أربعة أسماء أطباء عسكريين وربما كان لهذا علاقة وطيدة مع معبد الإله أسكولاب .(Bel Faida, 2004, p. 735)

4. أشهر الأطباء، وأهم إسهاماتهم:

1.4. لوكيوس أبوليوس Lucius APULEIUS (Apulée):

ولد لوكيوس أبوليوس في حوالي 125م، ينتمي إلى أحد العائلات النبيلة في مداوروش (Madauros) من أب ثريا، شغل كل المناصب الشرفية إلى أن عين قاضيا "دومفير"(Duumvir) . وبعد وفاته تحصل على نصف ثروة والده كما حصل على كل الألقاب البلدية وعلى مقعد في مجلس مداوروش .إلى جانب كونه خطيبا، فيلسوفا، شاعرا، كاتبا، كان أبوليوس طبيبا، عالم تشريح وعالم نفس، انتشرت شهرته في كل العالم في العصور القديمة (Apulée, 1960, p. XXXI)

اهتم أبوليوس بدراسة الأمراض العصبية وكان يستشار في الحالات المستعصية خاصة في علاج مرض الصرع حيث كان على دراية كاملة بأسبابه، أعراضه وتشخصه، وما تلك المرأة التي أحضرت إلى بيته ووعدها أن يشفها من مرض الصرع المصابة به (Apulée, 1960, p. XLVIII) وتشخيص مرض العبد تالوس (Thallus) (Apulée, 1960, p. XLVII) خير دليلا على ذلك. كما مارس التنويم المغنطيسي ودون كل المعلومات الطبية في كتاب عن الفيزيولوجيا والطب (Médicinalia) ولكن للأسف ضاع، ذكره الطبيب ثيودور باريسيان (Théodore Priscien) خلال القرن الرابع الميلاد (Monceaux, 1894, p. 272)

كذلك وصف أبوليوس (Apulée) الفحص الطبي بقوله" أنظر إلى الأطباء عندما يدخلون عند المريض لزياته، لا يهتم أي واحد منهم بمنظر القاعات الرائعة للمنزل، أو الصناديق المذهبة أو بحشد الأطفال أو الشباب الفائقين الجمال الواقفين بالغرفة حول المريض، يجلس الطبيب بجانب المريض يأخذ بيده يتحسسها، ثم يجس نبضه وحركته فإذا اكتشف اضطرابا أو اختلالا أنبأ مريضه بأن حالته خطيرة، ثم يؤمر أن تمنع عنه جميع المأكولات (Apulée, 1960, p. XXIII) بمعنى أن الأطباء كانت لهم غاية وحيدة من ممارسة هذه المهنة، وهو علاج المريض. ويوحي كذلك بعلاقة الطب والمريض وهي إشارة ضمنية لطبيب العائلة وإلى مهارة الأطباء، في تشخيص المرض وتقديم العلاج.

2.4. فنديسيانوس (Vindicien) (Helvius VINDICIANUS) :

فضلا عما ذكرنا سابقا، كان فنديسيانوس (Vindicianus) صديقا للقديس أوغسطين (Saint AUGUSTIN) فهو الذي كلله بالتاج بعد فوزه بمبادرة شعرية، ونصحه أن يدرس التنجيم ويزاول مهنة المنجمين. ويقول عنه «إنه رجل ذكي الفؤاد راجح العقل، واسع الشهرة مبرزا في عالم الطب" (الأوغسطينوس، 1987، ص.59) يصفه كذلك في رسائله بقوله "أشهر طبيب عصره" (Augustin, 1864, p. CXXXVII)

تبشر أعمال فنديسيانوس (Vindicianus) بداية ما يمكن اعتباره بالعصر الذهبي للملخصات الطبية اللاتينية المنتجة من طرف الأطباء الأفارقة حيث لم يرتكز على نقل الوصفات الطبية ولكن على مناقشة العديد من النظريات المبينة هنا في أهم أعماله (Langslow, 2000, p. 63)

- أطروحة بعنوان(Gynaecia) في علم أمراض النساء والتوليد، يشير غالبا إلى الطبيب اليوناني سورانوس الأيفيزي (Soranus d'Ephèse) أشهر ممثل للمدرسة المنهجية للطب.
- رسالة إلى الإمبراطور فالنتينيان الأول، بمثابة مقدمة لمجموعة من الوصفات الطبية للأسف اندثرت.
- رسالة إلى ابن أخيه بنتاديوس (Pentadius)، موجز وترجمة أصلية من «كتاب الطب لأبقراط" (Hippocrate)إلى اللغة اللاتينية، عدت النسخة الكاملة لنظرية الفكاهة الأربعة والأمزجة الأربعة المنتشرة في العصور الوسطى في الغرب الأوربي المسماة (The Epistula ad Pentadium nepotem suum de quattuor umoribus in corporehuman) (Ciliers, 2019, p. 122)

ومن الملاحظ كذلك أن شهرته باقية بعد وفاته لتصبح عالمية، يشهد له أحد تلامذته بذلك وهو الطبيب ثيودور باريسيان (Théodore Priscien) الذي اعتمد على الوصفات المذكورة في مؤلفات فنديسيانوس (Vindicianus). كما كانت أعماله الطبية لأكثر اقتباسا وأشارت إليها في العصور الوسطى وتم تتبعه من طرف الطبيب والكاتب اللاتين مارسيلو أمبيريكوس (Marcellus de Bordeaux) وخلال القرن السادس اعتمد ايزيدور الإشبيلي(Isidore de SEVILLE) على الأعمال الطبية لفنديسيانوس في تأليف الكتاب الرابع من موسوعته الشهيرة " الأصول" (les origines)

خاصة في للإصرار على ضرورة إلمام الطبيب بعلم الفلك ومعالجة بعض الأمراض بشكل خاص في الوصفات في علاج الحمى بأشكالها المختلفة وعلاقتها " بفصول السنة (Sabbah, 1998, p. 135)

3.4. كاسيوس فليكس(Cassius FELIX) :

برز الطبيب كاسيوس فليكس (Cassius FELIX) المولود في سيرتا ثم انتقل إلى قرطاجة في أواخر القرن الرابع. وهو طبيب عمومي (archiater) مشهور وهو الوحيد من بين الأطباء الأفارقة الذين أعلن أنه مسيحي، كان على اتصال بالقديس أوغسطين (Langslow, 2000, p. 121). كتب في عام 447م المؤلف المعنون "De medicina " (في الطب) موجز ودليل عملي باللغة اللاتينية، يستند على كتاب "الطب " للطبيب اليوناني جالينوس (Galien) (Brunet & Mieli, 1935, p. 160).

تطرق كاسيوس فليكس (Cassius FELIX) في كتابه إلى العديد من الوصفات الطبية لعلاج أمراض كأمراض النساء والتوليد، الرأس وبعض العلاجات للأمراض الشائعة كالحمى ولدغات الحيوانات، يقدم الاسم اللاتيني للمرض متبوعا بالمرادف باللغة اليونانية ثم الأعراض والأسباب وأخيرا العلاج. كما يستخدم أيضا العديد من الكلمات بالبونيقية ويشير إلى ندوب في وجوه النساء المور مما يعطي انطباع على أنه مطلع على أوضاع السكان المحليين .(Ciliers, 2019, p. 168)

4.4. كاليوس أوريليانوس (Caelius AURELIANUS)

هو طبيب أفريقي من القرن الخامس الميلادي (رينه، 1988، ص. 404) من مواليد سيكا فينيريا (Sicca Veneria) (الكاف حاليا)، كان طبيب معالجا وكاتبا في مواضيع طبية كثيرة. اشتهر بترجمته من اليونانية إلى اللاتينية لأعمال الطبيب اليوناني سورانوس الأيفيزي (Soranus d'EPHESE)ولغته تشابه لغة معاصره كاسيوس فيليكس .(Aurlianus, 1950, p. XIII) وبناءا على دراسة الباحث لانغسلو (Langslow) (2000) يمكن لنا وضع قائمة للأهم أعماله، وهي كالتالي:

- ترجمة لاتينية مختصرة لكتاب الطبيب اليوناني سورانوس الإيفيزي لعمله المعنون حول "الأمراض الحادة" (Acutarurn Passionum libri) والأمراض المزمنة (Tardarum Passionum Libri) ، تعتبر ذات قيمة خاصة منذ فقدت النسخة الأصلية.
- في علم أمراض النساء والتوليد (Gynaecia) ذكر أسباب عسر الولادة وأساليب علاجها. هي ترجمة وتلخيص من كتابين لسورانوس الإيفيزي (Soranus d'EPHESE) .

- الأجوبة الطبية (Medicinale Responsions)، مقدمة في تاريخ الطب .(p. 66)
- ترجم كاليوس أوريليانوس مصنف للسيرة الذاتية للأطباء والذي نعتبره اليوم أول دراسة في التأريخ الرسمي للمهنة. لكن للأسف ضاع. (سورنيا، 1978، ص. 60)

5.4. موشيون (Mustio أو Muschion):

كل ما نعرفه عنه أنه عاش خلال القرن الخامس وبداية السادس الميلادي وهو طبيب أفريقي الأصل (رينه، 1988، ص. 403)، ألف كتاب في شكل موجز يتضمن أسئلة وأجوبة جمعت بعنوانGynoeceia mulierum passionibus في علم أمراض النساء والتوليد، وعرف انتشار واسعا في القرون الوسطى حتى أنه ترجم إلى اللغة اليونانية ومنه ظهرت مخطوطة من القرن العاشر تضمنت رسومات تشريحية قديمة هي الآن في متحف بركسل. (Brunet & Mieli, 1935, p. 863)

خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه نستنتج أن الطب كان سابق للفترة الرومانية حيث بدأ في عصر ما قبل التاريخ، تبلورت معالمه في العهد القرطاجي وعرف ازدهارا ملحوظا في العهد الروماني من خلال انتقال من الطب المرتبط بالسحر والدين إلى ظهور التعليم الرسمي للطب في عدد من المدن الإفريقية كذلك ظهور " المدرسة الإفريقية" في منتصف القرن الثالث الميلادي. وخلال القرن الرابع والخامس الميلادي، ببروز تيار علمي يستند إلى جمع، تعديل، تلخيص، ترجمة الأعمال الطبية لعظماء الطب اليوناني والذي مثله أساسا الأطباء الأفارقة. ساهم هؤلاء في ازدهار الأدب الطبي اللاتيني وفي الحفاظ على المؤلفات والمعرفة الطبية اليونانية ونقلها إلى إيطاليا واسبانيا ومن ثم نشرها في جميع أنحاء أوروبا في العصور الوسطى، وبالتالي ساهموا في الحفاظ على التراث الطبي الإغريقي والإضافة إليه.

وفي الأخير يمكن القول، إننا نهدف أساسا إلى أعداد مصنف شامل على شكل سجل جرد لكل الأطباء الأفارقة وأهم إسهاماتهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المؤلفات / الكتب:**

1. الأوغسطينوس، القديس، (1987)، اعترافات، ط4، تر. الخوري، يوحنا الجلو، دار المشرق، لبنان؛

2. الأوغسطينوس، القديس، (2007)، مدينة الله، تر. الخوري، يوحنا الجلو، دار المشرق، لبنان، الجزء الثالث؛
3. الطاهر، عبد الجليل، (1969)، المجتمع الليبي دراسة اجتماعية وأنثروبولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت؛
4. باينم وليام، (2016)، تاريخ الطب مقدمة قصيرة جدا، ط1، تر. تركي، لبني عماد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة؛
5. رينه، تاتون، (1988)، تاريخ العلوم العام، ط1، مج 1العلم القديم والوسيط من البدايات حتى سنة 1450، تر. مقداد، علي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان؛
6. سورنيا، جان شارل، (1978)، تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص، رقم281، تر. الجبلاتي، براهيم، عالم المعرفة، الكويت؛
7. كلاس، جوزيف، (1995)، مسيرة الطب في الحضارات القديمة، دار الطلاس، دمشق؛
8. غانم محمد الصغير، (2005)، ملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى عين مليلة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر؛
9. André, Jacques, 1987, Être médecin à Rome, Les Belles Lettres, Paris ;
10. Apulée, (1865), L'Ane d'or ou les Métamorphoses, Trad. Désiré Nisard, Firmin Didot, Paris ;
11. Apulée, (1960), Apologie, Florides, Trad. Paul Villette, coll. Des Université de France, Les Belles Letters, Paris;
12. Augustin, Saint, (1864), Œuvres complètes de Saint Augustin, Trad. Poujoulat et Raulx, L. Guérin & Cie, Paris ;
13. Augustin, Saint, (1864) Lettre CXXXVII. (Année 412), Trad. Poujoulat et Raulx, L. Guérin & Cie, Paris ;
14. Aurelianus, Caelius, (1950) on acute diseases and on chronic diseases, transl. I.E. Drabkin, The University of Chicago Press, Chicago ;
15. Briau, R., (1877), L'artchiatri Romaine ou la médecine officielle dans l'Empire Romaine suite de l'histoire de la profession médicale, Masson, Paris ;
16. Berger, Philippe, (1879), La Trinité Carthaginoise, mémoire sur un bandeau trouvé dans les environs de Batna et conserve au Musé de Constantine, Dans Gazette archéologique, A. Levyed, Paris ;
17. Brunet, Pierre, Mieli, Aldo, (1935), Histoire des sciences antiquité, Pavot ; Paris.
18. Carcopino, J., (1922), Le Tombeau de Lambiridi et l'hermétisme africain, Ernest Leroux, Paris ;
19. Wilmanns (G), Mommsen (Th),(1881) , CIL VIII: Corpus Inscriptionum latinarum, Berlin; T.VIII
20. Cilliers, Louise, (2019), Roman North Africa Environment, Society and Medical Contribution, Amsterdam University Press B. V., Amsterdam;
21. Dridi H., (2006), Carthage et le monde punique, éd les belles lettres, Paris ;
22. Doutté, Edmond, (1909), Magie et religion dans l'Afrique du nord, Imprimerie Libraire – Editeur, Alger ;
23. Hamman, A.G., (1979), La vie quotidienne en Afrique du Nord au temps de Saint Augustin, Hachette, Paris ;
24. Langslow, D. R., (2000), Medical Latin in the Roman Empire, Oxford University Press, New York;
25. Lepelley, Claude, (1979), Les cités de l'Afrique Romaine au Bas-Empire, Notices d'histoire municipale, Etudes Augustéennes, Paris, T1 ;
26. Lepelley, Claude, (1981), Les cité de l'Afrique Romaine au Bas- Empire, Notices d'histoire municipale, Etudes Augustéennes, Paris, T2 ;

27. Le Bohec, Yann, (2014), La guerre romaine58 avant J.-C.-235 après J.-C, Collection : L'art de la guerre, Tallandier, Paris ;
28. Pline, l'Ancien, (1848-1850) Histoire Naturelle, Trad. Emile Littré, Dubochet, Paris, T2 ;
29. Nutton, Vivian, (2013), Ancient Medicine, Second edition, Routledge, London and New York;
30. Marrou, H.J., (1938), Saint Augustin et la fin de la culture antique, E. de Boccard, Paris ;
31. Monceaux, Paul, (1894), les Africains Etude sur la littérature latine d'Afrique, les païens, Oudin et Cie, Paris ;
32. Riché, Pierre, (1962), Éducation et culture dans l'Occident barbare, VIe - VIIe siècles, Seuil, Paris ;
33. Salvien, de Marseille, (1975), Gubernfione Dei (Gouvernement de dieux), Trad. Lagarrigue (G), Cerf, Paris ;

- **الرسائل الجامعية / الأطروحات:**

34. بنور، أسماء، (*2010-2011*)، جرد ودراسة أدوات الطب الرومانية خلال مجموعتين متحف موقع جميلة والمتحف الوطني للأثار القديمة: دراسة تحليلية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر *2*، الجزائر؛

- **الأبحاث في المجلات العلمية / المقالات:**

35. Bel Faida, Abdelaziz, (2004), Emigration de savoir : médecins en Afrique Romaine (apport de l'épigraphie), L'Africa Romana, Atti del XVI convegno di studio, Rabat, Vol. 2 ;
36. Benseddik Nacéra. 1997, Esculape et Hygie en Afrique : classicisme et originalité, Antiquités africaines, CNRS Éditions, Paris, vol. 33 ;
37. Benseddik Nacera, (1988 -1989), La pratique médicale en Afrique au temps d'Augustin, Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio, Sassari ;
38. Janon, Michel, 1985, Recherches à Lambèse III : Essais sur le temple d'Esculape, Antiquités africaines, CNRS Éditions, Paris, T.21 ;
39. Sabbah (G.), (1998), Notes sur les auteurs médicaux africains de l'Antiquité tardive (IV-V siècles), Université Stendhal Recherches et Travaux 54 ;
40. Nuntton, Vivian, (1984), From Galen to Alexander : Aspects of Medicine and Medical Practice in Late Antiquity, Dumbarton Oaks Papers N° 38, Byzantine Medicine, J. Scarborough, Washington, D.C. ;
41. Noël, Duval, Marcel, Cintas, (1978), Basiliques et mosaïques funéraires de Furnos Minus. Mélanges de l'école Française de Rome Antiquité, tome 90, n°2 ;
42. Tlili, Noureddine, (2000), Place de l'Afrique dans la législation impériale en matière d'éducation et de culture, Africa Romana, T13 ;